وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ

شعائر الله تعالى وتعظيمها

(القرآن، والكعبة، والنبي، والصلاة)

الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي

تعريب

محمد وثيق الندوي

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي، لكناؤ (الهند)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

رقم سلسلة المطبوعات: ٣٨٩

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ / ٢٠٢١م

اسم الكتاب	:	شعائر الله تعالى وتعظيمها
مؤلف الكتاب	:	الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب ومراجعة	:	محمد وثيق الندوي
الصفحات	:	٦٨
النسخ	:	١١٠٠
المطبع	:	ورك لائن بريس، لكناؤ (الهند)
ثمن النسخة	:	٥٠ روبية هندية

الناشر

المجمع الإسلامي العلمي

ص، ب، ١١٩، ندوة العماء، لكناؤ (الهند)

Ph: +91-522-2741539, E-mail: info@airp.org.in

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان، ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد!.

لقد خلق الله تعالى جميع الموجودات، وهو الإله الواحد الأوحد، والفرد الصمد، والأعلى الأعظم، القادر على كل ما يريد، أنه خلق السموات، وخلق الأرض، وجعل بينهما فرقًا كبيرًا، وخلق للسكن فيهما مخلوقات على حسب فطرة أودعها في هذه المخلوقات، وحسب مكانتها المقررة لها، وجعل للأرض مكانًا سافلاً، وجعل للسموات مكانًا عاليًا، وجعل بينهما فرقًا كبيرًا، يظهر مما ذكره في كلامه المجيد الذي أنزله إلى الإنسان ليتفكر فيما أعطاه الله تعالى من نعمة خير إذا أدى حق التوقير والتقدير لنزوله من السماء إلى الأرض رغم كونه لو نزّله بحقيقته على الجبل لدكّه دكًا، وحطّمه تحطيمًا، وذكر العبادة في مكان محدود، سماه الله بيته، كما خصَّ العبادة فيه أكثر من العبادة في أي مكان آخر على الأرض، وكذلك ذكر الأهمية والعظمة لعبادة الصلاة، وذكر نبيه الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

لقد جعل الله هذا الخير الأعظم لهذه الأربعة المذكورة (القرآن، الكعبة، النبي، الصلاة) وقضى الله تعالى بتوفيقه أن

ألفت نظر إخواننا إلى التفكير فيها والاستفادة بفضائلها عليها، وذلك باطلاعي على ما ذكره العلامة العبقري الجليل الشيخ ولي الله الدهلوي في كتابه الجليل "حجة الله البالغة"، وجاء بياني لها في مقالات عديدة جعلتها في كتاب صغير ليكون نفعه أوسع وأحسن.

وكان عملي هذا في لغة الهند الأردية، فقام بتعريبه الأخ العزيز محمد وثيق الندوي الأستاذ بدار العلوم لندوة العلماء، فأدعو الله له التوفيق والسداد، والله ولي التوفيق.

محمد الرابع الحسني الندوي
الرئيس العام لندوة العلماء
بلكناؤ، الهند
١٧/ربيع الأول ١٤٤٣هـ
٢٤/ أكتوبر ٢٠٢١م

بسم الله الرحمن الرحيم

شعائر الله تعالى وتعظيمها

قال الإمام العلامة أحمد بن عبد الرحيم المعروف بالشاه ولي الله الدهلوي - رحمه الله تعالى - في كتابه "حجة الله البالغة": "ومعظم شعائر الله أربعة: القرآن، والكعبة، والنبي، والصلاة"[١]، أي أن هذه الشعائر الأربع أمور عظيمة مختصة بالله تعالى، وهي تستحق أن تُعظَّم حق تعظيمها في الدنيا، وعندما يصير شيء أو أمر مختصاً بذات الله تعالى، يكون مستحقاً للتعظيم والاحترام كتعظيم الله بذاته وتقديره، فإن هذه الأمور الأربعة قد اختصت بالله تعالى، وتعتبر من شعائره عزوجل، ولذلك زادت شرفًا وتعظيمًا وقداسة وعظمة.

و"الشعيرة" في اللغة العربية مشتقة من "شعار"، و"شعار" ما ولي جسد الإنسان دون ما سواه من الثياب، كالفستان والقميص والسروال دون لبس المعاطف والجاكيت أو الرداء، وهي أشياء لا يستخدمها الإنسان إلا عند الحاجة إليها، ولا يلبسها كل وقت، فالثوب الذي يلي الجسد مباشرة يقال له في العربية "شعار" وكذلك الأمور الدينية التي لها صلة مباشرة بالله تعالى، تُعَدُّ من الشعائر الدينية، ولذلك يقال لبعض مناسك الحج وأعماله "شعائر الحج"، ويجب على كل مسلم

---

[١] حجة الله البالغة، المبحث الخامس، باب تعظيم شعائر الله تعالى: ١/١٤٦.

أن يعظم شعائر الله لكونها مختصة بذات الله تعالى مباشرة، فقد ورد في القرآن الكريم: "وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" [الحج: ٣٢] ومعنى "التقوى": الحيطة والوقاية والحفظ، وصيانة الإنسان نفسه من المعاصي والآثام والعادات السيئة، هي التقوى، فالاتقاء والابتعاد من كل سوء، ومعصية الله تعالى والانتهاء عما نهى عنه عزوجل، ومما يكرهه، داخل في مفهوم التقوى، فتبيَّن من ذلك أن أصل التقوى أن يكون القلب معموراً باحترام وتعظيم كل ما له اختصاص بالله تعالى وصلة به.

الشعيرة الأولى:

يجب أن يُهتمّ اهتماماً بالغاً بالأمور الأربعة العظيمة التي تعدّ من شعائر الله تعالى، وأن نرتبط بها ارتباطاً عميقاً مخلصاً بنية طيبة، وإن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى، وله صلة مباشرة به عز وجل، فلذلك داخل في شعائر الله العظيمة المقدسة، ولقد أنزله ليتوجه الناس إلى الله خالق الكون، ويعبدوه مخلصين له الدين حنفاء غير مشركين به، وقد بيّن القرآن الكريم كيف يتعامل الناس بعضهم مع بعض، وإن التعاليم القرآنية تهدى الحياة الإنسانية إلى الصراط المستقيم الأقوم، يقول الله تبارك وتعالى: "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" [الإسراء: ٩].

الشعيرة الثانية:

وأما الكعبة، فهي أيضاً من شعائر الله العظيمة، تنزل بها الأنوار الإلهية كل وقت، وتنسب إلى الله تعالى فيقال: "بيت

الله" فيجب احترامه وتعظيمه، كما يجب أن نعتبر التقرب إليه ذريعة للفوز والفلاح في الدنيا والآخرة، ومن تعظيمه أن نحجه ونطوف به؛ لأن الطواف به أفضل من النوافل، ومن لا يستطيع الطواف به فعليه أن ينظر إليه مستقبلاً إياه، ويكحل عينيه بنوره، وهذا من تعظيمه أيضاً، وبذلك يترقى الإنسان من ناحية الروحانية وقد جعل الله تعالى الكعبة للناس ملجأً ومركزاً للأمن والسلامة: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا" [البقرة: ١٢٥].

الشعيرة الثالثة:

وتعظيم النبي صلى الله عليه وسلم من شعائر الله تعالى، وقد جعل حبه وطاعته مرتبطاً باتباع رسوله وطاعته، فيقول: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [آل عمران: ٣١] فيتضح من هذه الآية القرآنية ما للنبي صلى الله عليه وسلم من مكانة عظيمة ودرجة رفيعة عند الله تعالى، وقد خوطب المسلمون في موضع آخر من القرآن بصراحة: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" [الأحزاب: ٢١].

لقد جعله الله تعالى إنساناً كاملاً، كمثل كامل يدرك به الإنسان كنه الأشياء، ويتدبر كيف يحاكيه، كذلك جعله الله تعالى مثلاً أعلى للإنسان، فكل من يريد أن يكون أفضل شخص فعليه أن يأتسي بأسوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ويستن بسننه ويختار طريقته، فيكون محبوباً ومقبولاً عند الله

ومقرباً إليه، وذاك أن الله تعالى اختص بشخصيته صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم رغم كونه بشراً، نبياً مرسلاً، والنبي يتولاه الله برعايته وهدايته مباشرة، وخطأ النبي لا يكون خطأ، وإذا صدر منه أمر خاطئ برأيه الشخصي، أتاه تحذير وتنبيه من الله على خطئه في إصدار أمر أو اتخاذ قرار، أنك أخطأت، لا تفعل ذلك، بل افعل هكذا، فالله تعالى يتولى النبيَّ برعايته وتوجيهه، ولذلك لا يصدر من النبي خطأ.

الشعيرة الرابعة:

ومن شعائر الله تعالى: الصلاة، وقد ورد ذكر الصلاة مقروناً بذكر الإيمان في كل موضع في القرآن، يقول: "وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ" [الروم: ٣١]، ويقول: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" [طه: ١٤]، وجاء في الحديث النبوي الشريف: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"[١].

إن الفارق بين المسلم والكافر هو الصلاة، كأنه قيل أنه لا يترك الصلاة إلا من كفر، والمسلم لا يتوقع منه أن يترك الصلاة، لأنه لا يليق بشأنه لأن للصلاة اختصاصاً بالله تعالى، فقد ورد أن الصلاة معراج المؤمن"[٢].

فالصلاة تعني حضور العبد ومثوله بين يدي ربه، وبها يتقرب إليه كما يمثل العبيد بين يدي سيدهم، فلا تسأل عن

---

[١] مسلم، كتاب الإيمان، باب إطلاق الكفر على من ترك الصلاة: ٢٥٦.

[٢] شرح سنن أبي ماجه للسيوطي، كتاب الطهارة، باب ذكر التوبة: ٤٢٣٩.

لذة من تعلّم كيفية التقرب إلى ربه والمثول بين يديه بالصلاة، وإن العمل بالأمر قائم، ولكن ما أعز وأكرم من شرفه الله ووفقه للحضور بين يديه ولكن ذلك لا يمكن إلا إذا اعتبره الرجل هكذا، وذاك أن تلك اللذة والكيفية مقتصرة على إيمانه وفهمه.

وفي الصفحات الآتية سنبحث هذه الأمور الأربعة من شعائر الله تعالى بشيء من التفصيل والإيضاح، إن شاء الله تعالى.

الشعيرة الأولى

القرآن المجيد

سمو الكلام الإلهي وعظمته :

كتب العلامة الشيخ أشرف علي التهانوي - رحمه الله تعالى - وهو يبيّن عظمة القرآن المجيد وما له من قبول وذيوع :

"كفى القرآن المجيد عظمة ومجداً ورفعة وفضلاً ، أنه كلام الله رب العالمين ، وخالق اللوح والقلم ، ومقدَّس ومنزَّه من جميع النقائص والعيوب ، لقد اعترف العرب جميعاً ببلاغته وفصاحته ، ولم يستطع كبار الفصحاء والبلغاء المخصوصين في العربية بالرتب العلية أن يأتوا بمثله ولو آية أو آيتين ، وقد تحدى القرآن العرب وأعلن بذلك إعلانًا صارخًا ، وقال مدويًا مجلجلاً : إذا كنتم في شك وارتياب من صدق القرآن الكريم ، وكونه كلاماً إلهياً ، وعددتموه من كلام البشر ، فآتوا بسورة واحدة مثل أقصر سور القرآن ، وادعوا أعوانكم وأنصاركم الذين يساعدونكم في الإتيان بذلك ، فلن تأتوا بمثله "وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ"(البقرة : ٢٣ - ٢٤)، وإذا سمع الجن هذا الكلام الباهر المعجز في بيانه وتشريعه ونظمه ،

فقالوا مرتجلين: " إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا " [الجن: ١- ٢].

ولقد أثنى الله بنفسه على هذا الكلام المقدس، فليس بوسعنا أن نوفي حق فضيلة من فضائله ومحاسنه وخصائصه، في الثناء والإشادة، ولو كان بعضنا لبعض ظهيراً.

وأما الأجر والمثوبة على تلاوته وتعلُّمه وتعليمه، فإنه ليس بحاجة إلى بيانها، وقد أجمع جميع علماء الأمة على ما يحصل على تلاوة القرآن الكريم من أعظم أجر، لا يعادله أجر أي ذكر آخر، والأحاديث في هذا الباب كثيرة، نذكر منها ما يلي كمثال:

عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: "قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْآنِ عَنْ مَسْأَلَتِي وَذِكْرِي، أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ السَّائِلِينَ. وَفَضْلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ، كَفَضْلِ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ"[١].

وعنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: الْقُرْآنُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ"[٢].

وعن مِشْرَحِ بْنِ هَاعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: لَوْ جُعِلَ الْقُرْآنُ فِي إِهَابٍ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ مَا احْتَرَقَ"[٣]. والمراد من الإهاب:

---

[١] الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل كلام الله على سائر الكلام: ٣٤١٩.

[٢] الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب القرآن كلام الله: ٣٤١٦.

[٣] الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن، ٣٣٧٣.

قلب المؤمن، فإن كان معمورا بالقرآن الكريم، فإنه يكون محفوظا من عذاب جهنم، لأن الله لن يعذب قلبًا وعى القرآن.

وعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا خَطِيبًا فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَخُذُوا بِهِ"، فَحَثَّ عَلَيْهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلَ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[1].

قوة الكلام الإلهي:

صلة العبد بالقرآن الكريم نعمة، والاستفادة من هذه النعمة سعادة؛ لأن القرآن كلام الله، ولكونه كلام الله مباشرة، يحمل قوة عظيمة، وتأثيراً لا غاية له، وعجائب لا تنقضي، وغرائب لا تنفد، ولا تسأل عن قوة تأثيره، فلو ظهرت في هذا العالم بأثرها الصحيح الحقيقي لعجز العالم عن حمله، وقد أشار القرآن إلى ذلك فيقول: "لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" [الحشر: ٢١].

وقد ورد في القرآن الكريم أن موسى عليه السلام لما طلب من الله سبحانه وتعالى أن يريه ذاته المقدسة، قال ربه لن تراني،: وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي

---

[1] الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن: ٣٣٧٩). [بيان القرآن للشيخ أشرف علي التهانوي].

أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ" [الأعراف: ١٤٣].

ويمكن تقدير تجلّي الكلام الإلهي وقوته الخارقة من خلال الوقائع الواردة في الأحاديث النبوية الشريفة التي تنبئ أنه عندما ينزل عليه - صلى الله عليه وسلم- الوحي، يتصبب عرقاً، ويشعر بالثقل عليه مع أن الله تعالى جعله كاملاً من جميع الاعتبارات: يقول زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه: أنزل الله على رسوله -صلى الله عليه وسلم- وفخذه على فخذي، فثقلت عليّ حتى خفت أن ترض فخذي"[١].

وتقول عائشة رضي الله عنها وهي تذكر كيفية نزول الوحي في البرد الشديد: "لقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً"[٢].

ويروى: إن كان ليوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على ناقته فتضرب على جرانها من ثقل ما يوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كان جبينه ليطف بالعرق في اليوم الشاتي"[٣].

فيتبين من الروايات المذكورة أعلاه أنه لم يكن من السهل

---

[١] صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب ما يذكر في الفخذ: ١٢.

[٢] صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي باب..... ٢.

[٣] دلائل النبوة للبيهقي، أبواب غزوة تبوك، كيفية نزول الوحي: ٨/٩٩.

لعامة الناس أن يحملوا الكلام الإلهي مباشرة، ولذلك وصل إليهم تدريجيًا بعد ما مرَّ بمراحل مختلفة.

مثل الكلام الإلهي:

أنزل الله تعالى كلامه ليستفيد منه الإنسان ويهتدي به، فجعله كلاماً تحمله الأرض ويبقى عليها، مثله كمثل تيار كهربائي، يجري في الأسلاك الكهربائية المغطاة بالمطاط أو البلاستيك، فإن أخذ أحد هذا السلك الكهربائي أو استفاد منه، فيحصل له النور والهواء والبرد والحر، وتدار به الماكينات والأجهزة الكبرى، وبالعكس إذا مسَّه أحد أو أخذ تياراً مكشوفاً بدون المطاط يأخذه تيَّار يعرِّض حياته للخطر والهلاك، ولكن إذا مسَّ الإنسان هذا التيار الكهربائي بالواسطة فإنه يستطيع احتماله، ويستفيد منه، إلا أنه لا يمكن مسُّه مباشرة ولا تحريكه، ولا يمكن وضع اليد عليه بدون الواسطة.

فنفس المثل هو مثل القرآن الكريم، ألبس الله تعالى كلامه غلافاً روحانياً في صورة الألفاظ العربية، بحيث تسمعه آذاننا، وتنطلق به ألسنتنا، وتتفوه به أفواهنا، ونكتبه على الورق، ونحمله بأيدينا، ولولم يكن هذا الكلام الإلٰهي في غلافه الروحاني أو عرفنا من عظمة ورفعة الكلام الإلهي المسطور في الألفاظ العربية لما استطعنا حمله، ولا استطاعت الأرض أن تحمل نزوله عليها، ولا هذه الدنيا، بل تنشق الأرض شقًا، وتندك دكاً، لأننا لا نقدر على الوصول إلى هذه الرفعة من ناحية الروحانية التي لابد منها للوصول إلى استكناه حقيقة الكلام الإلهي.

فكأنه من فضل الله علينا أن أكرمنا بما لا نستطيع حمله، وأنزل من السماء ما لا يمكن أن يبقى على الأرض، لنستفيد منه، ففي الواقع قد أعطانا الله تعالى نعمة عظمى لا يمكن أن تحصل لنا في أغلب الأحوال، فيجب علينا أن نقدرها حق قدرها، ومهما يكن تقدير الإنسان لهذه النعمة العظمى، فهو ضئيل بالنسبة إلى عظم مكانتها وجلالة شأنها.

الفرق بين السماء والأرض:

القرآن الكريم كتاب سماوي، وهذه الأرض لا تعادل السماء، والأرض أرض، والسماء سماء، ولذلك لا تستطيع الأرض أن تحتمل السماء، ولا قيمة للأرض أمام قوة السماء ووزنها، حتى أن قوة الأرض ووزنها هما أقل بالنسبة إلى أجرام الكون الأخرى، مع أن كلا منها يسبح في فلكه، ويسير في نطاقه قائماً بوظيفته، فمثلاً الشمس لا قيمة للأرض ولا وزن أمام قوة الشمس وثقلها، لأن الشمس تبعد من الأرض بعداً للغاية، ورغم ذلك تحرق الشمس الأرض إحراقاً وتحميها إحماءاً، وتدور حولها الأرض لا تستطيع أن تهرب منها، فمن هذه الناحية لا قيمة للأرض ولا وزن ولا حقيقة.

فمن ثمة يجب أن نتأمل ونتفكر في أن الكلام الإلهي الذي هو بمثابة "التجلى" أو "النور" كيف ينزل على الأرض؟ ففي الحقيقة أن الله تعالى قد منَّ على الإنسان بأن أنزل كلامه على الأرض لهداية الإنسان، ووفر وهيأ له ما يعيش به ويبقى على الأرض، ويقرأه الناس، وإلا فإن نزل هذا الكلام الإلهي في قوته

الحقيقية أي في كيفيته الأصلية فلم يستطع الإنسان أن ينطلق به لسانه ولا يسمعه بأذنه، ولا تحتمله أذن الإنسان، بل يؤثر عليه تجلّيه، فيقول الله تعالى:

" لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ" [الحشر: ٢١]، ولكن أنزله لهداية الإنسان، يقول عز وجل: " شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ " [البقرة: ١٨٥].

غرض نزول القرآن:

أنزل القرآن المجيد منجماً، في مراحل مختلفة، فأولاً أنزل من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ومن السماء الدنيا نزل إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام في فترات متقطعة.

وما أنزل القرآن المجيد لهذه الوسائط إلا لفائدتنا لنستهدى بهديه ونعتبر بما فيه من عبر وعظات، نبني حياتنا على أسس مستقيمة مستوحاة من الكلام إلهي، ونصلح حياتنا في ضوئه، ونصبغ حياتنا بصبغته، يقول الله تعالى: " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " [النحل: ٤٤].

حكمة نزول القرآن:

أنزل الله سبحانه وتعالى كلامه بعد بعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر حكمته وهو أن يتعظ الناس بمواعظه، ويستنيروا بنوره، ويستهدوا بهدايته، ويتفكروا فيه، ويعلموا! ما هي مسئوليتهم، وكيف يعيشون في هذه الدنيا، وفي الواقع القرآن

الكريم كتاب فيه ذكر الناس جميعاً، أي بين الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أحوال الناس المختلفة وأنواعهم وألوانهم المتنوعة، من السعيد والشقي، والمؤمن المخلص، والمنافق المرائي، والصبار والشكور، والعجول والكفور، وحسن الأخلاق، وسيئ الأخلاق، والظلوم والكفار، وما إلى ذلك، فيجد كل منهم فيه ذكره ذكراً مفصلاً فقال: " لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ " [الأنبياء: ١٠].

فعلى كل شخص أن يستعرض حياته ويحاسب نفسه في ضوء تعاليم القرآن، ويتفكر ويتدبر فيمن خلقه، وأنعم عليه نعماً كثيرة سابغة، لا يستطيع أن ينالها بنفسه، ولم يكن مقتدراً عليها.

تعظيم القرآن الكريم:

يكفى لمعرفة تعظيم القرآن ذكر آية وردت في مواضع مختلفة في القرآن، وهي: "لعلهم يتفكرون" أي ليعلم العباد ما هي مكانة الله تعالى؟ وما هي قيمة الناس أمام ربهم؟ وما هي الواجبات والمسئوليات التي تعود إليهم؟ وكيف يعيشون؟ وكيف تكون أعمالهم؟ وما هي الطريقة المستقيمة التي يجب عليهم اختيارها؟ وما هي المشاعر والعواطف والكيفيات المرضية التي يجب أن يعمروا بها قلوبهم؟

لقد أنعم الله تعالى على عباده نعماً كثيرة لا تعد ولا تحصى، خلق لنا هذه الدنيا، وسخر لنا الشمس، وجعل القمر لنا نافعاً، وجعل لنا كل ما في السماوات والأرض وما يوجد فيها لنستفيد منه، فبالجملة قد هيأ الله تعالى لنا كل نوع من أنواع النعم التي

نحتاج إليها في حياتنا، يقول " وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" [إبراهيم: ٣٤].

ولم يطلب الله تعالى من عباده بعد ما أنعم عليهم من هذه النعم، إلا أن يعبدوه، ويطيعوه في كل شأن من شئونهم، ولا يتعدوا حدوده ولايعصوه فيما أمرهم من الأوامر والنواهي، ولا يعدوا أنفسهم متساوين لربهم، بأن يعملوا بأهوائهم، ويعرضوا عن أحكام ربهم أو يقفوا منه موقفهم من أندادهم وأقرانهم، فإنهم يعملون ما يشاؤون ولا يعملون بما يأمرهم به ربهم الله، أو يشركون به غيره أو يعدون أنفسهم مساوين لربهم، أو يعتقدون في غيره ما يعتقدون به في ربهم، وهذا العمل شرك والشرك لظلم عظيم، ولذلك وصف القرآن كل من يعرض عن أحكام ربه، وينبذها وراءه ظهرياً، بالمجرمين: " وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ " [السجدة: ٢٢].

فإن الله تعالى هو الذي أعطى الإنسان كل ما يحتاجه، حتى أنزل كلامه إلى الأرض لفائدة الإنسان وهدايته، بعد ما لم تكن الأرض تستطيع أن تحمله، ولكنه أنزله ليسلك الإنسان الصراط المستقيم، فلابد للإنسان أن يعلم قيمة هذا الكلام الإلهي، ويعظمه ويقدره حق قدره، وهذا التعظيم واجب محتوم.

آداب القرآن:

قد بيّن القرآن المجيد نفسه، ما يستحقه مَن أدب واحترام وتعظيم، فيقول: "لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ" [الواقعة: ٧٩].

لا يمكن أن يكون الإنسان مطهراً تطهيراً كاملاً، لأنه لا

يعلم ما يشتمل عليه بطنه، ولكن الله تعالى علّم الإنسان طريقة للتطهير في الظاهر، يكون باختارها مطهراً، فعلى كل إنسان أن لا يمس القرآن ولا يقرأه إلا إذا كان مطهراً، ويعتقد أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليه بأن وفقه للاستفادة من القرآن وتلاوته، وجعله أهلاً لذلك بعد أن كان لا يحتمل ذلك.

ومن آداب القرآن الكريم وتعظيمه أن لا نقصر أي تقصير في تعظيمه وتقديره، والمراد من تعظيم القرآن بالإضافة إلى مراعاة آدابه من التقدير والاحترام الظاهري، أن نستهدي بما ورد في القرآن من تعاليم وأحكام، ونقضي الحياة وفقها، وبالاهتداء بهدي القرآن ننال رضي الله، لأن الغرض من نزول القرآن الكريم أن نستفيد به ونصلح حياتنا ونورها بنوره، وإذا فعلنا ذلك يرض الله عنا، ويسرّه أن عبده يطيعه فيما يأمره به، ويسلك على الطريق الذي قرره وبيّنه ليعمل بما أمره به من أحكام وتعاليم، وقد رغّب القرآن الكريم الإنسان إلى ابتغاء رضي الرب والعمل بأوامره: "وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ" [الزمر: ٥٥].

النظام الدنيوي والنظام الأخروي:

لابد من فهم الفرق بين النظام الدنيوي والنظام الأخروي، وأما النظام الدنيوي، فهو نظام أرضى، فإن نضع في الأرض بذوراً، تنبت، أو نغرس فيها تنشأ الأشجار، أو نركب لبنة بلبنة فإنه تقوم العمارة.

وأما الآخرة، فلا يعمل فيها هذا النظام الأرضي، بل

نظامها روحاني، ولا نجد فيها إلا ما عملنا في الحياة الدنيا، فإن نرد أن نجد في الحياة الأخروية جنات أو قصوراً، أو أنهاراً، فإن ذلك يتطلب منا أن نقوم - بعيداً من الأسباب الظاهرة- بالأعمال التي بينها الله تعالى في كتابه المجيد والنبي صلى الله عليه وسلم بقوله وعمله وتقريره.

جزاء العمل بتعاليم القرآن:

ونتيجة امتثال الأحكام الإلهية والعمل بتعاليم القرآن، هي أن تحصل لنا قوة سماوية تنفعنا في حياة الآخرة، وذاك أنه لا ينفع في الآخرة إلا الإيمان والعمل الصالح، وبهما نتمتع بتلك النعم الغالية النادرة التي ورد ذكرها في مواضع مختلفة من القرآن الكريم:

"إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ" [الحج: ٢٣].

وعلاوة على آيات القرآن المختلفة توجد أحاديث كثيرة تؤكد أن حياة الآخرة كمكان قفر لا يجد الإنسان فيه أي راحة، ولا يرى أنيساً، فإن الحصول على أدوات الراحة فيها يحتاج إلى القيام في الحياة الدنيا بأعمال تؤدي إلى تحقيق الحاجات في الحياة الأخروية، وبذلك يكون الإنسان مصوناً محفوظاً من المتاعب والمشاكل في الآخرة، فقد ورد في حديث نبوي:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي، فقال: يا محمد! أقرئ أمتك مني السلام، وأخبرهم

أن الجنة طيبة التربة، عذبة الماء، وأنها قيعان، غراسها سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر"[١].

وجاء في حديث آخر: "من قال سبحان الله العظيم بحمده، غرست له نخلة في الجنة"[٢].

وجاء في حديث: "ما من مسلم يعود مسلماً غدوة إلا صلى عليه سعبون ألف ملك حتى يمسى وإن عاده عشية إلا صلى عليه سبعون ألف ملك حى يصبح، وكان له خريف في الجنة"[٣].

وروى الترمذي أن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله! قال: هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام"[٤].

فلابد لنيل جنات النعيم، والغرف العليا، والأشجار المظلة، والأنهار الجارية أو نعم أخرى في الجنة، من القيام في الحياة الدنيا بالأعمال التي طولب منا أن نقوم بها، والمراد من هذه الأعمال، هي الأعمال التي بينها لنا القرآن والحديث النبوي، فإن تقم بها في الحياة الدنيا تنفعكم في الآخرة وإن لم تفعلوا ستكونوا من الخاسرين، ولا تجدوا إلا مكاناً قفراً لا

---

[١] سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب غرس الجنة: ٣٧٩٨.

[٢] سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب من قال سجان...: ٣٨٠٠.

[٣] سنن الترمذي، باب الجنائز، باب ما جاء في عيادة المريض: ٩٨٥.

[٤] سنن الترمذي، أبواب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة، غرفة الجنة: ٢٧١٨.

تجدون فيه شجرة مظلة، ولا يغنيكم من جوع وعطش، كأنه حجارة إذا قمت عليها لا تظللكم ولا تريحكم.

الصفة المميزة للإنسان:

إن المخلوقات التي خلقها الله تعالى، أنواع وألوان، لها طبائعها وخصائصها التي أودعها الله فيها، وهي مسخرة لما خلقت له، لا تنحرف عنه قيده شعرة، ولذلك لا تفكر هذه المخلوقات في كسب المزيد من المعلومات مكتفية بصلاحياتها الموهوبة، ولذلك نطاق عملها محدود، فكل مخلوق منها منصرف إلى أداء ما نيط به من وظيفة في الكون.

وقد جعل الله تعالى الإنسان من بين هذه المخلوقات مخلوقاً يحتاج في قضاء حياته إلى معرفة المعلومات والمعارف، وإن لم تكن هذه المعلومات حاصله له تذهب حياته سدى.

فمثلاً إذا لم نعرف كيف تُنتج وتُصنع الملابس، ومن أين تحصل الثياب، وكيف يحصل الغذاء ومن أين؟ وكيف يحصل الماء، أو تكون في مكان لا يوجد فيه الماء، ولا الغذاء، أو في مكان لا يوجد فيه شيء، ولا تعلم عنه شيئاً، ففي هذا الحال كيف تنال الطعام والماء، ومن أين تحصل، وكيف تحصل على الثياب، ومن الظاهر أنك لا تستطيع أن تفعل شيئاً في هذه الحالة.

فيتضح من ذلك أن نظام الحياة الإنسانية مربوط بالعلم والمعلومات، وبها يسير، وبالعلم يعرف الإنسان حاجياته ومقتضياته وغرضه، فكأن العلم أساس لحياة الإنسان، وأساس تفوقه وغلبته على المخلوقات الأخرى، وإلا فلا فرق بينه وبين الحيوان.

الفرق بين الإنسان والحيوانات الأخرى :

يمكن أن تفهم الفرق بين الإنسان والحيوان بأن الإنسان يحتاج في نيل قوته أو طعامه لوقت واحد، إلى أن يحصل على معلومات كثيرة، عليه أن يعرف ما هي الوسائل لنيل الطعام لوقت واحد، التي تعينه على كسب المال، ثم يحاول أن يعرف الأماكن التي يجد فيها مأكولات ومشروبات ملائمة لذوقه وطبيعته، ثم يتعلم طريقة صنع الطعام، ثم يطيبه ويحسنه فيأكل هنيئاً مريئاً.

وأما الحيوان فإنه لا يحتاج إلى شيء من ذلك في طعامه وشرابه، ولا يستطيع أن يختار وسيلة من الوسائل التي يختارها الإنسان بعقله وعلمه، لأنه لا يملك العلم والعقل، وحينما يحسّ بالجوع يأكل حيث يجد ما يأكله، وعندما يحس بالعطش يشرب الماء حيث يجده، مع أنه لا يعلم شيئاً، كيف يحصل على الماء، وكيف يحصل على الأوراق والأعشاب، وكيف تنبت الأرض العشب.

وهنا مخلوق آخر وهم الملائكة، خلقهم الله لعبادته وطاعته فقط، وليس غير، لا يفعلون شيئاً برائهم، بل هم مسخرون لما أمروا به من العبادة والطاعة : يقول القرآن : "لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" [التحريم : ٦].

الغرض من تميّز الإنسان وتفوقه :

قد ميّز الله تعالى الإنسان من بين مخلوقاته الأخرى بالعلم والعقل، وأعطاه المعلومات للحياة الأخروية بجانب إعطائه المعلومات للحياة الدنيوية، ولذلك بعث فيهم الأنبياء والرسل،

وأنزل من السماء الكتب، وفي ختام المطاف أنزل من السماء كتابه الأخير القرآن الكريم وهو صحيفة الهداية الربانية لسفينة النجاة الإنسانية كلها، ليستفيد من النعم والتسهيلات في العالمين الدنيا والآخرة.

منح الله تعالى الإنسان علم الحياة الدنيا وما يتعلق بها من معلومات، ليحقق حاجات حياته في الدنيا ومطالبها، ويعلم من أين يحصل على الماء، والغذاء، واللباس، وكيف يبنى المنازل والبيوت؟ فقد أعطاه الله صلاحية تحقيق هذه الحاجات بالاستفادة من علم الحياة الدنيا.

وأما الغرض من المعلومات المتعلقة بالحياة الأخروية، فهو أن يصلح الإنسان حياته ويزكيها في ضوء هذه التعاليم الإلهية، ويقضي حياته وفق رضا ربّه، ليفوز في الآخرة وينال كل ما يحتاج إليه في الحياة الآخرة.

الفرق بين النظام المادي والنظام المعنوي:

لا يمكن في الحياة الأخروية أن يزرع الإنسان ويغرس، وينبت العشب والغلة، ويغرس الأشجار والجنات، بل نظام الآخرة هو نظام سماوي مختلف اختلافاً كلياً عن النظام الأرضي.

وفي الحياة الدنيا تتحقق سائر ضروراتنا بالتراب، ومنه تنبت الغلة، وتخرج الأشجار، ومنه يخرج الحديد، والنحاس والمعادن الأخرى، ومن التراب يخرج البترول والديزل، والنفط والبنزين، ومنه ينبع الماء، فإن جميع أشياء حاجياتنا تتعلق بهذا التراب الحقير.

والنظام السماوي يختلف عن النظام الأرضي، وهو نظام روحاني ومعنوي وفي الآخرة يجد الإنسان جزاء لما عمله في الدنيا مهما كان عمله، كان اختار طريق الضلال والغواية، أو طريق الهداية والرشاد الذي بينه الله عن طريق إرسال الأنبياء والرسل، وخاصة أعطى الله تعالى هذه الأمة المحمدية الأخيرة والنبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم كتابه الخالد القرآن الكريم الذي هو نظام كامل شامل جامع للحياة الإنسانية.

الشعيرة الثانية

الكعبة المشرفة وقدسيتها ومكانتها

الكعبة المشرفة من شعائر الله تعالى، وهي بيت الله في الأرض، والطواف حولها من أجلِّ الأعمال التعبدية التي يقوم بها الحجاج والمعتمرون، ويليه السعي بين الصفا والمروة اللتين ذكرهما القرآن الكريم من شعائر الله: "إن الصفا والمروة من شعائر الله" [البقرة: ١٥٨].

وإن الكعبة المشرفة التي هي العمارة الأساسية لبيت الله، هي مربعة، ومبنية من أحجار مكة الجبلية، وقد مرّت بعدة مراحل للبناء بالنظر إلى حاجتها إلى الترميم والإصلاح، وقد وضع أساسها الأول أبو البشر آدم عليه السلام، ثم رفع قواعدها سيدنا إبراهيم خليل الله وسيدنا إسماعيل ذبيح الله — عليهما الصلاة والسلام — وجعلاها رفيعة شامخة: "وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم" [البقرة: ١٢٧].

وأما جدران الكعبة المشرفة فوجهتها إلى شرق الجنوب وشرق الشمال والجنوب الشرقي، وبابها يقع بقرب الناحية الجنوبية للجدار بشرقي الجنوب، ويقال لها: الملتزم، ويقوم الحجاج والمعتمرون بالدعاء عند باب الكعبة ملتصقين بالملتزم

(الحجر الأسود والجزء الداخلي لباب الكعبة) وهنا يستجاب للدعوات، وعلى اتصال بها وضعت قطع الحجر الأسود في الجدار التي يقبلها الناس أو يقوم الناس بالاستلام إذا تعذّر التقبيل أو الوصول إليها، والاستلام يقوم مقام التقبيل، ويرجى قبول الدعاء في هذا المكان وفي هذا الوقت مع أن الناس يدعون الله في كل جزء من الكعبة المشرفة وخلال الطواف والسعي بين الصفا والمروة، وهذه المقامات يستجاب فيها للدعوات.

وحول الكعبة المشرفة فرشان واسعان، يقوم فيهما الحجاج والمعتمرون بالصلاة والتلاوة والذكر والدعاء والمناجاة والطواف حول الكعبة المربعة، والطواف من مناسك الحج والعمرة، ومن اقتضاء زيارة الكعبة، وهو من أحب الأعمال عند الله تعالى.

والجزء الداخلي من مبنى الكعبة أعلى من الجزء الخارجي للمبنى مقدار طول قامة الإنسان، وحول الكعبة فناء واسع وعمران كبير.

منى والمزدلفة وعرفات:

المنى مكان يقع على بعد ثلاث كيلو مترات من مكة في الجانب الشرقي، وكانت المنطقة المتصلة به إلى العزيزية مسكونة، وقد كثر بها العمران الآن، والعزيزية داخلة في حدود الحرم، وعلاوة على ذلك أصبحت الجهات الأربع معمورة بالناس، الأمر الذي قد وفر التسهيلات للحجاج.

وفي منى يقيم الحجاج خمسة أيام في موسم الحج، ولذلك أصبحت منطقة منى مباركة ومحترمة، ويليها المزدلفة ثم عرفات،

والوقوف بعرفات في الوقت المقرر لازم ولو كان لوقت قليل، لإكمال الحج والانتهاء من أداء مناسكه.

وفي منى يقوم الحجاج بتقديم الأضحية تذكارًا لأضحية سيدنا إبراهيم عليه السلام، ويه يرمى الشيطان، وإن السعي بين الصفا والمروة ذكرى للسيدة هاجر التي كانت تسعى بين الصفا والمروة باحثة عن الماء لإرواء غليل ابنه الرضيع سيدنا إسماعيل عليه السلام، فنبع ماء زمزم من حيث يضرب إسماعيل الأرض برجله، وقد جعل الله تعالى في هذا الماء شفاء لما شرب له، إنه يروي ويغذي، ومنذ ذلك اليوم ينبع الماء من هذا المكان بدون انقطاع، ويستفيد من بركاته الناس ويرتوون منه.

مقدم أسرة إبراهيم إلى مكة :

كانت مكة قبل وصول إبراهيم عليه السلام إليها أرضاً جرداء قاحلة، بواد غير ذي زرع، لم يكن بها أنيس ولا أسباب عيش، من طعام وشراب وميرة، ولكن أمر الله سبحانه وتعالى نبيّه إبراهيم عليه السلام بترك ولده الرضيع إسماعيل وأمه هاجر في هذه الأرض القاحلة لأجل الأهداف العظيمة، فاستسلم إبراهيم لأمر ربه، وأسكنهما بواد غير ذي زرع، لم يكن به ماء ولا أنيس، توكلاً على الله وامتثالاً لأمره، واستسلامًا لقضائه، وعندما أراد العودة انطلق لسانه بهذا الدعاء: "رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ" [إبراهيم: ٣٧].

إن هذا الوادي غير ذي زرع في الواقع مكان تاريخي، يقع فيه بيت الله العتيق الذي وُضع كأول بيت في الأرض لعبادته عزوجل، ووضع قواعدَه إبراهيمُ عليه السلام، يقول القرآن الكريم: "إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ" [آل عمران: ٩٦].

وقد أصبح هذا المكان المبارك بعد إقامة إبراهيم به، مركزاً للتوحيد ومثابة للأمن والسلام، بينما كان الأمن فيه مفقوداً، وعندما ترك إبراهيم عليه السلام ذريته بهذا المكان الخالي من العمران البشري ساوره الخوف عليها من الإغارة من قبيلة ظالمة تمرّ بهذا المكان، وتختطفها، وكذلك فكر كيف تحصل لها أسباب العيش في هذا الوادي، لأن أرضه كانت قاحلة، محاطة بالجبال الجرداء من كل جانب، قسا فيه الجو، وفقد الماء، وغاب الأنيس، وأوحش المكان، ، فدعا ربّه وقال: "رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ" [البقرة: ١٢٦]. فاستجاب الله لدعاء نبيه، فأصبح هذا المكان مأموناً ومحفوظاً، تتوفر فيه أنواع وألوان من الأطعمة والأشربة والفواكه، وتتهيّا فيه كل نوع من أنواع أسباب الحياة وحاجياتها، وتتكدس في أسواقها أفضل البضائع والأمتعة وأجودها وأحسنها.

أساس عمران مكة:

بجنب ذكر أدعية إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم، وردت آيات تلقى الضوء على تاريخ العمران في مكة، وتؤكد أن

أساس العمران في مكة حيث تسكن قريش اليوم، على التوحيد الخالص، تقول: "وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ" [البقرة: ١٢٥].

والمراد من كلمة "طهّر" الواردة في هذه الآية: التنقية من مظاهر الشرك بجنب التطهير الظاهري، ولذلك وردت آيات متعددة في القرآن الكريم، خوطبت فيها قريش أن يعلو نداء التوحيد بعد بعثة النبي الخاتم من المكان الذي وضع أساسُه على التوحيد والوحدانية.

التكريم الإبراهيمي:

ولإبراهيم عليه السلام نسبة خاصة وصلة خاصة بالكعبة المكرمة، فقام ببنائها من جديد، وعمرها بالعبادة، وأذن في الناس بالحج إليها، "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" [الحج: ٢٧].

ونتيجة لهذه الصلة العميقة المخلصة ونجاحه فيما ابتلاه ربُّه، أعطاه الله تعالى مكانة عالية عظيمة وجعله إماماً للناس كافة: "وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا" [البقرة: ١٢٤].

من فضائل بيت الله العتيق:

ميَّز الله تعالى العالم السماوي عن العالم الأرضي، وجعله أعلى وأرفع، وكما قد خلق الله سائر الكائنات خلق هذه الدنيا والسماوات العلى، وأعطى كائناً منها أهمية وفضيلة بنسبته إليه دون سائر الأكوان، ومن هذه الكائنات ذات الأهمية والفضيلة

الكعبة المقدسة التي جعلها بيته وإن كان كل مسجد من المساجد، يقال له بيت الله، ولكن وصف الله الكعبة في مواضع من القرآن بـ"البيت"، الأمر الذي يدل على أهميتها وفضيلتها وقال: "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ" [المائدة: ٩٧]، وقال في موضع آخر: "وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى" [البقرة: ١٢٥]. وقال في السورة نفسها: "وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ" [البقرة: ١٢٧].

فقد جعل الله تعالى الكعبة المقدسة بيته، ونسب بناءها إلى عبده الحبيب ونبيه العظيم سيدنا إبراهيم عليه السلام، وابنه إسماعيل عليه السلام، واختار للبناء لفظة "القواعد" مما يدل دلالة واضحة على أنهما رفعا قواعد هذا البيت، بينما وضع أساسه أبو البشر آدم عليه السلام، فبذلك أظهر الله صلته الخاصة بهذه البقعة المباركة في الأرض، وهذا لا يقلل من مكانة السماوات التي هي أعلى من الأرض.

وجعل الله "الكعبة المشرفة" بنسبتها إليه بمكان من الأهمية والفضيلة يفوق ثواب صلاة فيها مائة ألف صلاة في المساجد الأخرى، فجاء في حديث نبوي شريف: "صلاة في المسجد الحرام مائة ألف صلاة"[1].

النسبة السماوية:

ويتضح من نسبة الكعبة المشرفة إلى الله تعالى أنه إذا وضع أي جزء من السماء إزاء أي جزء من الأرض تفوق نسبة ذلك الجزء

[1] شعبة الإيمان للبيهقي، فضل الحج والعمرة: ٤١٤٤.

السماوي مائة ألف ضعف، وذاك أن الله تعالى جعل الأرض وأهلها أسفل سافلين: "ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" [التين: ٥].

ولكن جعل الله الإنسان بقدرته، وأودع فيه خصائص وصلاحيات تحمل الصبغة السماوية، ولذلك أنه رغم كون مكانته أسفل، يحمل مكانة سامية: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" [التين: ٤].

نعمة عظيمة:

أما الثواب والبركات التي تحصل بنسبة الكعبة إلى الله مباشرة، فيمكن أن تدرك قيمتها على الأقل بالفرق الحاصل من ناحية عدد الأجر، ولا يمكن أن ترى كل شيء بصورة ظاهرة، ولكن إذا بُيِّنت حقيقتُه فلا مانع من التسليم به، فإن الحضور إلى الكعبة، والجلوس أمامها بأدب، والدعاء والسؤال من الله رب العالمين متذرعاً بالكعبة، هو سبب خير وبركة.

والكعبة من ناحية ظاهرها بناء مزبع، ولكن إذا شاهدها أحد بمشاعره وعواطفه القلبية يشعر بتأثيرها الخلاب، والحضور إليها وزيارتها كأنه في الواقع وصول الإنسان الأرضي إلى البقعة السماوية، وإذا تدبرنا في ذلك نجد أن من أكبر فضل الله علينا أنه وفر للإنسان رغم كونه ساكناً في الأرض، فرصة للاستفادة السماوية، فمن حسن حظ الإنسان أن يستفيد منها أكثر فأكثر، ويضيف إلى ميزان حسناته وأعماله الصالحة.

ومع الفضائل التي وردت بشأن الحضور إلى الكعبة وزيارتها والصلاة في البيت الحرام، لابد أن يكون ببال الإنسان الذي

يزورها أن لا يسيئ إليها، ولا تتطرق إلى ذهنه أفكار زائغة، فقد ورد في القرآن الكريم وعيد شديد لمن يريد فيه سوءًا، فيقول: "وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ" [الحج: ٢٥].

الكعبة نقطة مركزية للعالم:

ومن خصائص بيت الله الحرام أنه إذا نظرنا إليه بالنظر إلى مناطق العالم الأخرى وجدناه يقع في وسط المعمورة كنقطة أساسية في العالم مثل الناف في الجسم الإنساني، فكأن الله تعالى قد جعل بيته الحرام مركزاً للعالم الإنساني ومحوراً يدور حوله العالم.

وبيت الله هو بناء الكعبة، ولكن حدوده ليست محصورة فيها، بل أن الحرم المكي كله الذي بُيِّنت حدودُه، داخل في البيت الحرام.

مكان عظيم:

فإن بيت الله الحرام أعظم مكان على الأرض، كأن قطعة سماوية وضعت في هذا المكان، فزالت عنه صفته الأرضية، وحلت محلها الصفة السماوية، ليجد الإنسان المتبع للحق فرصة للاستفادة، وقد نال هذا المكان المقدس بفضل لله قبولاً عظيماً واسعاً، يأتيه كل عام آلاف مؤلفة من المؤمنين المحبين الصادقين، يروون غليلهم الديني، وينالون فرحة خاصة وراحة قلبية خاصة، مع تجرُّده عن كل ما يستهوي القلوب، ويستلفت الأنظار، ووقوعه في بلد بعيد عن جمال الطبيعة، ولكن الله تعالى كساه الجمال والجلال، وعطف إليه القلوب والنفوس، وجعله مهوى الأفئدة ومغناطيس القلوب، يودُّ

الناس لو يسعون إليه على رؤوسهم، ويصلون إليه ببذل مهجهم ونفوسهم.

إنه مكان مقدس ونادر، هيأه الله تعالى لعباده الصالحين، وهو مركز رحمات الله وبركاته، ورمز عظيم لوحدة المؤمنين واجتماعهم، يجتمع فيه سائر المؤمنين باختلاف ألوانهم وأحوالهم وكيفياتهم وانتماءاتهم كمؤمن واحد، ويقدمون مثلاً رائعاً للوحدة والاجتماعية، ويعودون إلى أوطانهم حاملين لهدية البركات الإيمانية ويبلغونها إلى أهالي وطنهم.

الشعيرة الثالثة

سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

النبيُّ الأكرم محمدصلى الله عليه وسلم يُعدُّ من شعائر الله تعالى، إنه رحمة مهداة للعالم كله، ومصدر كل خير وبركة وسعادة للإنسانية جمعاء، وقد جعله الله تعالى رحمة للعالمين، فقال: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" [الأنبياء: ١٠٧].

فإن الإنسانية كلها في الواقع مُدِينة للرسول محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما تنعم به وتسعد، فأصبح المؤمنون به عباد الله تعالى، وأما الذين لم يؤمنوا به، فإنهم أيضًا قد نالهم خير البعثة المحمدية بحيث تعلموا بفضل بعثته آداب الحياة، لأن الإسلام دين جامع يشمل الحياة الإنسانية كلها، قد روعى فيه مراعاة كاملة لسائر شعب الحياة وجوانبها المختلفة، بينما تنحصر الأديان الأخرى في نطاق التعبُّد والتحنُّث فحسب، لأن هذه الأديان جعلت الإنسان خارج نطاق التعبُّد أحراراً يفعلون ما يشاؤون، لا ترشدهم في مجالات الحياة الأخرى، فإن الإسلام تتميز من بينها بأنه يرشد ويهدي الإنسان فيما يحتاجه في سائر شعب الحياة، ولا يكتفي بإصدار الأوامر أو الإرشادات والأحكام، بل يلزم على أتباعه العمل بها، فبالتالي يتقدم المجتمع الإنساني ويزدهر، وكلما وقع في أتباعه تقصير وتكاسل

في العمل بتعاليم الإسلام قيض الله تعالى في كل مكان علماء مصلحين، وصلحاء وأتقياء لا يحصى عددهم، ليكونوا مثلا حسنًا للآخرين يحتذى، وتسير الإنسانية على طريق مستقيم، وتكون الأوضاع حسنة وصالحة.

التأثير الطبيعي للإسلام:

إن الدين الإسلامي نظام فطري تأثّر به غير المسلمين أيضًا تأثّرًا كبيرًا وانتفعوا به انتفاعًا، فلولم يكن المسلمون لساءت أحوال غيرهم أسوأ وأحطّ، ولاريب في أن كثيرًا مما يتصفون به من محاسن وخصائص كريمة، هي نتيجة لتعايشهم مع المسلمين، فإن لم يؤمنوا بالإسلام، لكنهم تأثروا به غاية التأثر في مختلف شعب الحياة.

وكان الناس في بلدنا قبل وصول الإسلام إليه في أسوأ حال، وأحطّ وضع، يعيشيون عراة حفاة، وحياة رهبانية، وفوضى خلقية، وتقشف، بل يعيشون حياة البهائم، ولم تكن لديهم آداب للأكل والشرب واللباس، ولكنهم لما رأوا الحضارة الإسلامية تعلموا كثيراً من المسلمين وأخذوا منهم، فإن ذلك يدلّ على أن الإسلام كما أفاد أتباعه، نفع غيرهم أيضًا نفعاً كبيراً.

واقرأ تاريخ أوربا وأوضاعها قبل احتكاكها بالمسلمين، تجد أحوالها أسوأ مما يتصوره العقل، كان كسب العلم جريمة لا تغتفر، وكانت القيود مفروضة على كسبه، وكانت للكنيسة جولة وصولة وسيطرة حتى أن الملوك أيضاً كانوا مضطرين للخضوع أمامها، وإذا علمت عن أحد تعلّم العلم، عذّبته عذاباً

شديداً تقشعر منه الجلود، وقد أعدم عدد كبير من العلماء بهذه التهمة، وكان العلاج معدوماً، فكانت المعالجة بالسحر والشعوذة، وكانت الأدوية لم توجد، بل كانت عنقاء مغرب، فكان الأوربيون يعيشون حياة الأنعام حتى جاء الإسلام فعلمهم طرق الحياة السعيدة، وتعرفوا على الحضارة والثقافة، وقد اعترف بذلك عدد من العلماء الأوربين.

وعلى كل، فإن فضل البعثة المحمدية كبير على سائر الناس مهما كان دينهم، فكل خير وبركة وسعادة تراه اليوم في العالم مرجعها إلى الإسلام وأتباعه، رغم أن الدعاية مكثفة بأن العالم كله مدين لأوروبا مع أنهم في الواقع أخذوا من المسلمين واستفادوا من معايشتهم والاحتكاك بهم في الشرق الإسلامي وخاصة في الأندس، خلال الحروب الصليبية، لأن الاحتكاك والصحبة لها تأثير كبير على الحياة، فصحبة الصالح تؤدي إلى كسب المحاسن والخصائص الإنسانية الكريمة، وصحبة الطالح تؤدي إلى المساوئ والأعمال السيئة، فأثّر الإسلام على سائر الناس كما أثرت حضارته تأثيراً عظيماً على الحضارة الغربية، فبفضل الإسلام وحضارته تغيرت حياة أوربا، وانتشر فيها العلم والحضارة، وتغيرت الأفكار والنظريات.

رحمة للعالمين:

فإن البعثة المحمدية رحمة للعالمين، ولولم تكن بعثته - صلى الله عليه وسلم- لكانت الدنيا كلها مظلمة، وقد أشار إلى ذلك المفكر الإسلامي الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي

وهو يتحدث في جلسة حول السيرة النبوية في حماس ونشوة: "من آثار هذه الوحمة المهداة مكبر الصوت هذا، وهو يجعل الصوت سريعاً ومرتفعاً، ولولم تكن تعاليمه صلى الله عليه وسلم ولولم تكن حضارة المسلمين وثقافتهم وأمانتهم لما أحرزت الدنيا هذه التقدمات الهائلة".

ويقول في مقال له: " لقد تغيرت الدنيا بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، وبفضل تلك التعاليم السامية، كما يتغير الطقس، وانتقلت الإنسانية من فصل كله جدب وخريف، وسموم وحميم، إلى فصل كله ربيع وأزهار، وجنات تجري من تحتها الأنهار، تغيرت طباع الناس، وأشرقت القلوب بنور ربها، وعم الإقبال على الله، واطلع الإنسان على طعم جديد لم يألفه، وذوق لم يجربه، وهيام لم يعرفه من قبل.

... كان يبدو أن الإنسانية أفاقت واستيقظت، وفتحت عيونها بعد سبات عميق طويل، دام قروناً طويلة، فأرادت أن تتدارك ما فاتها حتى عمر كل جزء من أجزائها، وكل ركن من أركانها بدعاة ربانيين مخلصين، مجاهدين مصلحين، مربين، عارفين بالله متحرفين بالله متحرقين لخلق الله، باذلين نفسهم ونفيسهم لخير الإنسانية، وإنقاذها من الخطر المحدق بها من كل جانب، رجال تحسدهم الملائكة، فأشعلوا مجامر القلوب الباردة، وأذكوا شعلة الحب الإلهي، وفجروا أنهار العلوم والآداب، والحكم والمعارف، وفتحوا ينبوعاً فياضاً، متدفقاً من العلم والعرفان، والإيمان والحنان، وأنشؤوا في نفوس البشر مقتاً

شديداً للظلم والجور، والعدوان والبغضاء، ولقنوا الشعوب المضطهدة، والمهانة الذليلة، دروس المساواة وضموا المنبوذين والمهجورين، والمساكين الذين لفظهم المجتمع، وطردهم أهلهم وعشيرتهم، إلى صدروهم العامرة بالحب والحنان، إنك تجد آثارهم، وتلمس آياتهم على كل جزء من أجزاء البسيطة كمواقع القطر، لا يخلو منها بيت وبر، ولا مدر.

.... إن هذا الانقلاب العظيم، والدور الزاهر الجديد معجزة من معجزات محمد صلى الله عليه وسلم ومأثرة من مآثر بعثته، ونفحة من نفحات الرحمة الإلهية التي عمت الأمكنة كلها، والأزمنة كلها وصدق الله العظيم: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء الآية: ١٠٧]"[١].

وأما صلة المسلمين بالعلم واشتغالهم به فهو عظيم وهائل، وأما التقدمات العلمية التي توجد في غير المسلمين، مرجعها إلى المسلمين رغم أنهم لا يعترفون بذلك، لكن التاريخ يعلم كل ذلك، ويتضح من خلال دراسة التاريخ أنه لم يكن يوجد عند الأقوام علم، فجاء الإسلام وحثّ على كسب العلم، والمسلمون هم الذين حققوا العلم وغربلوه، وأوجدوا واخترعوا، ونشروا العلم، وأثاروا الشعور بالعلم والرغبة إليه، ولكن المسلمين لما غفلوا وقصروا في كسب العلم وتكاسلوا تعرضوا للانحطاط والادبار في جانب، وفي جانب آخر تقدَّمت

---

[١] السيرة النبوية للشيخ أبي الحسن علي الحسن الندوي، ص: ٤٨٤.

الأمم الأخرى، وبذلت الجهود حتى فاقت المسلمين، لكنها مُدِينة لهم في تقدماتها العلمية الهائلة.

فكل خير وسعادة ونظام في الدنيا اليوم يرجع فضله إلى البعثة المحمدية، ولذلك جاء في الآية القرآنية " إنا أرسلناك رحمة للعالمين" فهذه الجملة عظيمة تحمل في طياتها دلالات عميقة ومعاني عظيمة، وحقائق جليلة.

المطالبة بالتعظيم والتقدير :

وقد أكد القرآن في مواضع كثيرة، على تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم، فيقول: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" [التوبة : ١٢٨].

ونظراً إلى تألمه وتواصل فكره في أمته سلى الله نبيه بأن لا تتعب نفسك وراء هداية أحد من الناس، لأن الهداية أو الضلال بيد الله، فهو يهدي من يشاء ويضل من يشاء، فليس عليك إلا البلاغ : " لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين" [الشعراء : ٣].

محبّة الرسول صلى الله عليه وسلم :

احترام الرسول وتعظيمه، والعمل بما جاء به، والاحتكام إلى شريعته، واجب على سائر المؤمنين، وقد جعل القرآن حب الرسول أساس الدين، ومن أهم الفرائض، يقول: "قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"(التوبة : ٢٤)

وجاء في الحديث النبوي: " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"[١].

حبّ الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم:

كانت حياة الصحابة - رضي الله عنهم- نموذجًا حيًا صادقًا لهذا الحب النبوي، والعشق النبوي، ويتجلى هذا الحب المثالي في أروع مظاهره وأصدقها في سيرهم، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم أحبَّ إليهم من نفوسهم وأولادهم وآبائهم، ويؤثرونه على أنفسهم، ويفدونه بآبائهم وأمهاتهم، وقد تفانوا في الفداء والولاء لرسولهم، وقدموا مثلاً أعلى لحبِّهم لرسولهم، بعملهم وقولهم، وخلقهم وسلوكهم، وما أحبوا أن يصيبه أدنى أذى، وهم جالسون بين أهاليهم، فلما جيئ بخبيب بن عدي رضي الله عنه ليُقتل، سأله أحد الناس: " أتحب أن محمدًا مكانك"؟ فقال: لا والله العظيم، ما أحبّ أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمها"[٢].

ويوم غزوة أحد جالد طلحة بن عبيد الله المشركين الذين قصدوا الرسول صلى الله عليه وسلم، يريدون ما يأباه، وترس عليه بيده؛ يقى بها النبي صلى الله عليه وسلم، فأصيبت أنامله، وشلّت يده، وقال: بأبي أنت وأمّي! لا تشرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحرى دون نحرك"[٣].

---

[١] صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله... ١٧٨.

[٢] السيرة النبوية لابن كثير: ١٣١/٣.

[٣] صحيح البخاري، كتاب المغازي، رقم: ٤٠٦٤.

وفي الواقع لقد بلغ الصحابة رضي الله عنهم الغاية في حبهم وولائهم لرسولهم صلى الله عليه وسلم، وقدموا مثلاً أعلى لهذا الحبّ الغامر، وقد طولب سائر أفراد الأمة أن يحبوا رسولهم مثل حب الصحابة الذي فاق الحسبان، فيكون الرسول أحب إليهم من نفوسهم وأموالهم وأولادهم وآبائهم وأمهاتهم ونسائهم، وإن حبّ الرسول يستلزم التأسي بأسوته الحسنة، والاستنان بسنته، والعمل بتعاليمه، وبقدر ازدياد الحب يزداد الإنسان المحب عملاً وحباً لكل ما يتصل بمحبوبه.

اقتضاء كمال الإيمان :

إن كمال الإيمان أن يحب المؤمن رسوله صلى الله عليه وسلم أكثر من نفسه وولده والناس أجمعين، فيجب على كل مسلم أن يحاسب نفسه، ويستعرض حياته، وينظر كم يحب رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا يقدر هذا الحبّ بالقول وحسب؛ بل يقدر بأن يؤثر رسوله على كل شيء، مهما كلّف ذلك، وفي أغلب الأحيان يحول حبّ الدنيا ومتاعها وحبّ الأولاد والأهل والمال دون العمل بما يقتضيه الدين، ولذلك منع الله تعالى من ذلك وقال: "واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وإن الله عنده أجر عظيم" [الأنفال: ٢٨].

والفتنة في اللغة العربية ما يصرف الرجل عن الطريق السوي بإيقاعه فيما تهواه نفسه، أي أن يرتكب الرجل عملاً خاطئاً طوعاً ورغبة، ويبلغ في حب شيء مبلغاً يوقعه في الغواية والضلال.

فإن أحبَّ مؤمنٌ رسولَه حبًا صادقًا - كما طولب منه بأنه لا

يؤمن أحدهم حتى يكون الرسول أحب إليه من كل شيء- فإنه مع هذا الحب الصادق العميق لا يعصي رسوله، مهما كانت المغريات والمطالب المادية، لأن المحب لا يخالف أمر محبوبه في أي أمر، فإن كمال الإيمان والعمل بالشريعة أساسهما على الحب الصادق الصحيح للرسول صلى الله عليه وسلم، وإيثاره على كل شيء.

آداب النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد بيّن القرآن الكريم بوضوح - مع حب الرسول- آدابًا يخرج المسلم من الإيمان لعدم فهمها ومراعاتها، وهو لا يشعر بذلك، فقد ورد في سورة الحجرات أن يعلموا مقام النبي ومكانته، والله يعصمه ويتعهده برعايته ويكلؤه، فلا يصدر منه ما يخالف رضا ربّه وأمره، لأنه قدوة مهداة من الله تعالى، فعلى المؤمنين أن يعتبروا أقوال نبيهم وتعاليمه وأعماله صادرة بأمر الله تعالى، ويطيعوه فيما يأمرهم أو ينهاهم عنه، وذلك أمر إلهي يجب امتثاله، ولا يجوز الإعراض عنه أو تركه.

وجاء في سورة الحجرات بشأن آداب النبي صلى الله عليه وسلم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ" [الحجرات: ١].

يشاهد في جوّ العطف والحبّ والمودة عامة أن الذين يعيشون فيه يقصرون في الاحترام الذي لابدّ منه، مثلاً نشاهد في البيت أن الولد لا يحترم أباه ما يستحقه لكثرة الاختلاط والاحتكاك كل وقت، وإن كثرة اللقاء والاختلاط يسببان قلة الأدب والاحترام، كان الصحابة رضي الله عنهم يتعايشون مع

النبي ويصاحبونه كل وقت، فكان من الممكن أن يقع منهم تقصير في أداء وظيفة الحبّ والاحترام والتعظيم، وقد أخطأ بعضهم في بعض المناسبات، ولذلك أمر الله في كتابه الخالد القرآن الكريم المؤمنين بأن لا يقدموا بين يدي الرسول ولا يرفعوا أصواتهم عنده، ويتقوا الله، والله سميع عليم، وأما الأمر بالاتقاء فإنه جاء لئلا يكون تقصيرهم في هذا الجانب سببًا لغضب الله وعقابه، لأن الله لا يحب أن يتدخل أحد أو يناظر رسوله أو يتقدم أمامه أو يرفع صوته بين يديه.

خلق النبي صلى الله عليه وسلم:

ومن خلق الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان شفوقا رحيماً، لا يجزي بالسيئة من يسئ إليه أو ينتقص منه، فلا يقول له شيئًا، بل يحسن إليه، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها: ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله تعالى، فينتقم لله بها"[1].

ومن خلقه صلى الله عليه وسلم أنه كان عندما يدعو الناس للمأدبة في منزله فجاؤوا قبل الموعد وتجاذبوا أطراف الحديث، أو جعلوا يتحدثون فيما بينهم بعد الطعام مما يؤذيه أو أهل بيته، لا يقول شيئا؛ بل يتحمل ذلك برحابة صدر وحلم، فجاء في القرآن الكريم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ

---

[1] صحيح مسلم، كتاب الأدب، باب في التجاوز في الأمر: ٤٧٨٧.

كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لاَ يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ" [الأحزاب : ٥٣].

وعلى كل حال، فأكد الله تعالى في مواضع مختلفة من كتابه المجيد على احترام النبي وتعظيمه، ذاك أن النبي ليس بامرئ عام، إنما اصطفاه وقرّبه إليه واختصه لنفسه، وبذلك حصلت له رعاية خاصة من عند ربّه، فأصبح من عباده المقربين والمصطفين الأخيار، فإذا أساء أحد إليه يرتكب سيئة، ويكون عمله هذا غير مقبول عند الله، بل يغضب على ذلك.

منع رفع الصوت :

ورد في الآية الثانية من سورة الحجرات : "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ" [الحجرات : ٢].

خوطب المؤمنون في هذه الآية بأن يراعوا آداب النبي ويخفضوا أصواتهم ولا يرفعوها على صوت النبي، ولا يبلغوا حدّ الجهر عند مخاطبته كما يجهر بعضهم في الحديث مع البعض، ولا يخاطبوه باسمه وكُنيته كما يخاطب بعضهم بعضاً فيقولوا : يا محمد، ولكن قولوا يا نبي الله ويا رسول الله تعظيماً لقدره ومراعاة للأدب والاحترام، خشية أن تبطل أعمالهم من حيث لا يشعرون ولا يدرون، لأن في رفع الصوت والجهر بالكلام في حضرته - صلى الله عليه وسلم- استخفافاً قد يؤدي إلى الكفر المحبط للأعمال، فيظهر في الآخرة أن الحسنات والأعمال

الصالحة قد حبطت ببعض الأخطاء والسيئات التي ارتكبوها وهم لا يشعرون.

الأمر بالتقوى:

"إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ" [الحجرات: ٣].

ذكر في هذه الآية الذين يحتاطون في الحديث مع الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم يراعون الأدب والاحترام غاية المراعاة في الكلام مع رسولهم صلى الله عليه وسلم، وكان بعضهم لا يتكلمون مع رسولهم إلا بصوت خافت للغاية يصعب سماعه في بعض الأحيان، ومن المعلوم والمشهور أن الصحابة تغشاهم الطمأنينة والسكينة والإنصات والاستماع إلى ما يقول الرسول بجمعية الخاطر وحضور القلب والوعي، يقول أسامة بن زيد رضي الله عنه عن حال الصحابة في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم: "إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير"[١].

ومن خلق الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يتورعون في الحديث في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فما يقطعون حديثه، ولا يسألونه من غير حاجة، وقد أمروا بأن لا يكثروا من السؤال عندما يتحدث الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يستفسروا،

---

[١] شعب الإيمان للبيهقي، باب في حب النبي صلى الله عليه وسلم، فصل في خلق الرسول صلى الله عليه وسلم: ١٤٣.

ويكتفوا بما يقول، ولا يلحوا عليه إلحاحاً في السؤال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ" [المائدة: ١٠١].

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن كثرة السؤال، فنهى عن ثلاث: "قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال"[١].

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم قصة بني إسرائيل التي تتحدث عن الخسارة التي تسببها كثرة السؤال، فلما أمر بنو إسرائيل بذبح البقرة، سألوا موسى عليه السلام: ما هو نوع البقرة، وما هو لونها، وهو جنسها؟ وما هو سنها؟ ففرض الله عليهم قيودًا وشرائط عويصة، فتعبوا وعانوا كثيرًا في البحث عن البقرة ذات تلك الصفات.

ونهى الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته عن كثرة السؤال من غير حاجة، لأن كثرة السؤال تؤدي إلى الضيق والعسر، وقد ربّى الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته تربية قويمة، وعوّدهم على الاستفادة بما يأمر به الله بشكل عام، وأن يعملوا به حسب استطاعتهم، ويتجنبوا فيه عن قيل وقال، وقد قال الله تعالى عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا" [الحشر: ٧].

تورُّع الصحابة الكرام:

بلغ الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم من الحيطة

---

[١] مسلم، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة: ٤٥٨٣.

والتورّع حدًّا جعلهم يفكرون آلاف مرة إذا ألجأتهم الضرورة لسؤال شيء، كيف يسألون؟، فيتهيبون في سؤال نبيهم خشية أن يقعوا خلال السؤال في أدنى إساءة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، يقول براء بن عازب رضي الله عنه وهو يصوّر هذه الحالة:

"إن كان ليأتي عليّ السنة أريد أن أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيء فأتهيب"[١].

ووردت روايات عديدة أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا ينتظرون قدوم أعرابي يسأل فيسمعوا، فجاء في رواية "كنا لنتمنى الأعراب - أي قدومهم - ليسألوا فيسمعوا"[٢].

فنظرًا إلى بلوغهم غاية الاحترام والتورع في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم أثنى القرآن عليهم وشهد باحترامهم وحسن أدبهم كما ورد في هذه الآية "إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ" [الحجرات: ٣] أي نجحوا في هذا الامتحان وأثبتوا تقواهم بأعمالهم الصالحة وطاعتهم الكاملة لله ولرسوله، فنالوا أجرًا عظيمًا ومغفرة عظيمة.

منع رفع الصوت:

"إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ

---

(١) فتح الباري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال: ٢٠/٣٤٠.

(٢) المصدر نفسه.

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ" [الحجرات: ٤ - ٥].

ذكر في هذه الآية القرآنية غير الصحابة، أي الأعراب الذين يأتونه من القرى والبادية، وكانوا أشدّ جفوة وبداوة، لا يعلمون شيئًا من الأدب واحترام الكبار، وآداب التخاطب والحديث مع الناس حسب منازلهم.

قدم أعراب من البادية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، ونادوا يا محمد يا محمد أخرج إلينا ليعرضوا عليه حاجاتهم، رغم أن هذه المناداة لم تكن بنية سيئة، بل كانت عن جهل، لا يُعْتَبر سوء الأدب إلا سوء أدب، وإن لم يكن بنية فاسدة، ولذلك نبه القرآن إلى ذلك أن الذين يدعونك من وراء الحجرات، أكثرهم غير عقلاء، إذ العقل يقتضي حسن الأدب، ومراعاة العظماء عند خطابهم، فهم لا يعقلون كيف يخاطبوا النبي صلى الله عليه وسلم وكيف يعرضوا عليه ما يحتاجون إليه، ولو أن هؤلاء المنادين لم يزعجوا النبي صلى الله عليه وسلم بمناداتهم، وصبروا حتى يخرج إليهم لكان ذلك الصبر خيرًا لهم، وأفضل عند الله وعند الناس لما فيه من مراعاة الأدب في مقام النبوة.

إنهم لم ينادوه بنية سيئة، ولذلك لم ينزل بهم العقاب، بل اقتصر على نصحهم وتقريعهم، وعفا عنهم، ولقن جميع الذين يعيشون في المدينة والحضر مع الذين كانوا في البادية، أن يراعوا أدب النبي صلى الله عليه وسلم ويعظموه ويوقروه، وقد استأثر به الله تعالى واصطفاه، وله مكانة عظيمة لا يمكن نيلها لأحد

منهم، وإن كان منهم، اختاره الله لنفسه، ويحوطه برعايته الخاصة، ويوحي إليه "وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" [النجم: ٣- ٤].

فيتضح من ذلك أن كل ما ينطق أو يأمر به النبي صلى الله عليه وسلم ليس إلا بوحي من ربه، ويوصل إلى الناس قول ربهم لأن الله تعالى لا يخاطب أحدًا مباشرة، لأن الإنسان لا يستطيع أن يتحمل كلام الله مباشرة.

وإن الذين نادوا النبي من وراء الحجرات كان عددهم قليلاً، وهم من الأعراب السذج البسطاء، وأما عامة المؤمنين فكانوا غاية في الاحترام والتعظيم وحسن الأدب، حتى أنهم لا يستطيعون أن يرفعوا إليه أنظارهم هيبة وإجلالاً؛ فقد قال بعضهم: "ما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له"[1].

فهذه الشهادة تدل على أن المنادين بصوت عال كانوا أعراباً بسطاء، وقليل ما هم، وعامة المؤمنين وأكثرهم كانوا ملتزمين بحسن الأدب والاحترام في خطاب النبي صلى الله عليه وسلم، وحينما ناداه بعض الأعراب السذج من وراء الحجرات نبهم الله وقرَّعهم ونصحهم بأن لا يرفعوا عنده أصواتهم، وعليهم أن يستمعوا إليه بغاية من الاحترام ومراعاة الأدب في مقام النبوة وهو معلمهم وهاديهم، فعليهم أن يأخذوا منه ويطيعوه فيما يأمرهم به.

التعاليم الاجتماعية ومقام النبوة:

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا

---

[1] الشفا للقاضي عياض، فصل في عادة الصحابة: ٣٨.

قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" [الحجرات: ٦- ٨].

هذه الآيات القرآنية تعلم المؤمنين أن يتصفوا بالسداد والتواضع والاحترام، وعدم الاستعجال في أمرٍ مًّا، وإذا بلغهم خبر من الأخبار عليهم أن لا يبلغوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن فلانًا يفعل كذا وفلانًا يقول كذا، وحكمة هذا الأمر أن كثيرًا من الناس يقولون بنية سيئة، أو يكون وراءه سبب آخر، وأما من لا يعلم حقيقة الأمر فيقع في قيل وقال، ونتيجة لذلك يحدث سوء الظن وتنتشر أخطاء الفهم.

عن صفية بنت حُيى رضى الله عنها قالت: "كان النبى صلى الله عليه وسلم معتكفًا، فأتيته أزوره ليلاً، فحدثته، ثم قمت لأنقلب، فقام معي ليقلبنى - وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد - فمرّ رجلانِ من الأنصار، فلما رأيا رُسول الله صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على رسلكما، إنها صفية بنت حيي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًا، أو قال شيئًا[1].

أوضح النبي صلى الله عليه وسلم الأمر أنها زوجتي، مع

---

[1] صحيح مسلم، كتاب السلام باب بيان أنه يستحب: ٥٨٠٨.

أنه لم يكن أحد من المؤمنين ليتجرأ على إساءة الظن به ، ولكن المرء مرء ، يخطر بباله ما لا يظن ، ولذلك وضّح النبي صلى الله عليه وسلم الأمر ، لئلا يسوء ظنه فيتعرض إيمانه للخطر لأن سوء الظن بالرسول صلى الله عليه وسلم أو مجرد سوء الخيال يؤدي إلى ذهاب الإيمان وفساده.

ولذلك منع القرآن من ذكر كل ما سمع ، ذاك أن ذكر الحادث المؤسس على سوء الظن أو خطأ في الفهم ، يسبِّب تفشى أخطاء الفهم في الناس ، ولذلك قيل إذا بلغ إليكم خبر غير موثوق بصدقه لا تذكروه ، فإذا أتاكم رجل فاسق بخبر من الأخبار فتثبتوا من صحة الخبر ، لئلا تصيبوا قوماً وأنتم جاهلون حقيقة الأمر ، فتصيروا نادمين أشد الندم على صنيعكم ، فعليكم أن تتورعوا في ذكر الأخبار والحوادث ، وإذا بلغكم خبر لا تنقلوه إلى آخر قبل التثبُّت من صدقه وصحته.

وتدل الآية الثانية على أن لا تنقلوا كل ما سمعتم أو يحدث معكم من أمر ، إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلو يسمع أخباركم ويطيعكم في غالب ما تشيرون عليه من الأمور لوقعتم في الجهد والهلاك ، فلو أطاعكم في جميع ما تختارونه لأدّى ذلك إلى عنتكم وحرجكم ، لأن إطاعة الرسول واجبة في كل ما عمله.

رسالة للأمة المسلمة :

يستفاد من الآيات الابتدائية من سورة الحجرات أنه لابدّ من مراعاة مقام النبوة ، بحيث يظهر أثره في جميع أمورنا وشئوننا ، وإذا حضرنا مجلسًا أو مكانًا يذكر فيه النبي صلى الله

عليه وسلم يجب أن يحدث فينا الشعور بعظمة من نسمع أقواله وفي أي مجلس نجلس وما هي مكانته وما يستحق من توقير وتعظيم؟ فنتجنب أن نحضر مجلسًا يذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ونحن غافلون أو لاهون، أو نتكلم مع أحد معارفنا لاهين ساهين، أو نحضر كما نحضر مجلس أصدقائنا، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو الذي استأثر به الله واختصه لنفسه، وأعطاه الله عظمة ورفعة بحيث أنه إنسان ولكن ليس كعامة البشر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم أنا بشر، أفعل كما يفعل الناس، ولكن الله جعلني نبيًا، فإنه صلى الله عليه وسلم ممتاز بشرف النبوة، ففاق به الناس جميعًا مع أنه منهم، صلى الله عليه وسلم.

الشعيرة الرابعة

الصلاة وأهميتها

الشعيرة الرابعة من شعائر الله تعالى، هي الصلاة التي أودع الله فيها خصائص غريبة وصفات فريدة، تكسب مَن يؤدي الصلاة بمراعاة هذه الصفات، خيرًا كثيرًا، وقوة عظيمة، لأن الصلاة معراج المؤمن، ومعقله وملجؤه، وقد ذكر في القرآن أمران للتقرب إلى الله تعالى، وهما الصلاة والزكاة، اللذان ينال بهما المؤمن رضي ربه وأجرًا عظيمًا عنده: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" [البقرة: ٢٧٧].

العمل المحبوب:

إن أحبّ الأعمال عند الله تعالى، هي الصلاة، وهي فرضت من فوق سبع سماوات في المعراج، ويحصل بها سمو روحاني، وإشراقات ربانية وتجليات إلهية، وتتنزل فيها رحمات وبركات، ويتقرب بها العبد إلى ربّه، فلابد من اختيار الطريقة الصحيحة والاتصاف بصفات الإخبات، والخشوع والخضوع، وحضور القلب، التي بيّنها القرآن الكريم والسنة النبوية، وباختيار هذه الصفات ينتقل العبد من الطبيعة الأرضية إلى السمة السماوية.

وإن عمل عبادة الصلوات ليس بمفروض كل وقت، ليتيسر

أداؤها للعبد، أنها فرضت خمس مرات في الليل والنهار، وأداءُ الصلوات يستغرق نصف ساعة أو ربع ساعة فحسب، ولكن يتحقق القبول عند الله إذا تمّ أداؤه بالإخلاص والإخبات، كما ورد في مدح الصحابة في القرآن الكريم: "مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ" [الفتح: ٢٩] وورد ذكر تأثير الصلاة وفائدتها في موضع آخر في القرآن: "إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ" [العنكبوت: ٤٥].

الفرق بين الصلاة والعبادات الأخرى:

علّم الإسلام، وهو الدين الحق، أربعة أعمال للعبادة لنيل الزلفى والتقرب عند الله تعالى، وهي: الصلاة والزكاة، والصوم والحجّ، وإن ثلاثة منها سوى الصلاة، فرضت حسب الاستطاعة والقدرة، ولكن الصلاة مفروضة دائمة ما دام العبد حيًا، وقال عز وجلّ: "وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ" [الحجر: ٩٩].

فالصلاة في الواقع قنطرة بين الأرض والسماء، وعبادة ينتقل بها العبد من العالم الأرضي إلى الملكوت الدائم، ووسيلة عظيمة للدخول في الجنة، وقد وعد الله عباده بأجر عظيم إذا أديت الصلاة بخصائصها وشروطها وآدابها.

الصلاة سلاح المؤمن:

جعل الله تعالى الصلاة ذات صفات عظيمة وخصائص فريدة، وهي تغذى الإنسان غذاءً روحيًا، ووجبة روحية وحقنة صحية، وتقرِّب العبد إلى الرب، وهي مفزع المؤمن إذا

حزبه أمر، ومعقله إذا أصابته مصيبة، وهي سلاح له لمواجهة المصائب والآلام.

لما قام الرسول صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى الإسلام علنًا، قام كفار مكة بمنع العرب من الإسلام بطرق شتى؛ كانوا يظلمون المسلمين ويذيقونهم أنواعًا من العذاب، ولذلك كان المؤمنون في بداية الأمر يخفون إسلامهم، وقد قام الرسول صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام سرًّا ثلاث سنوات، ثم نزل الأمر بجهر الدعوة علنًا كما ورد في سورة المدثر: "يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ" [المدثر: ١- ٣].

فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم يدعو الناس إلى الإسلام جهارًا، ونتيجة لذلك بدأ كفار مكة يمارسون ألوانًا من الظلم والاعتداء والتعذيب ضدّ المؤمنين، واضطر المستضعفون من المؤمنين أوالذين لم يكن لهم سند قوى إلى احتمال الأذى والصبر على ما يصيبهم من الظلم والاعتداء، كانوا يُسحَبون ويُجرون على أحجار محمرة، ورمال محرقة حتى لفظ بعضهم أنفاسه الأخيرة، وإذا بلغ الأمر مداه وطمّ الوادي على القرى قال بعض الصحابة: "يا رسول الله! إنا كنا في عز ونحن مشركون، فلما آمنا صرنا أذلة"[١].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم لصحابته الصادقين المخلصين: نحن لا نستطيع أن ننتقم منهم أو نقاومهم، فاصبروا واستقيموا على الدين، وكفوا أيديكم، وأقيموا الصلاة، وقد

---

[١] سنن النسائي، كتاب الجهاد، باب وجوب الجهاد: ٣٠٩٩.

أشار القرآن إلى هذا الوضع في مكة : "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ" [النساء : ٧٧].

تميُّز الإنسان عن سائر المخلوقات :

خلق الله - وهو خالق الكائنات والموجودات كلها- الإنسان، وفضله على المخلوقات الأخرى تفضيلاً، وأظهر هذه الفضيلة بأمر الآخرين بالسجود أمامه، ومن لم يخضع لهذا الأمر عاقبه، لأن سائر المخلوقات قد خلقها الله تعالى، فعليها أن تمتثل بما يأمرها به ويحبه، ولكن تفضيل الإنسان وتميزه لم يكن تميزًا ذاتيًا، بل إنه مؤسس على طاعته لأمر ربه وتمثيله ما يحب ربّه ويرضى، ومجال طاعته هي الحياة الدنيا، فعليه أن يعمل أعمالا صالحة وفق ما أنزله الله على عبده النبي الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب والحكمة وهي السنة النبوية، ليجد جزاءه الأوفى وهو دخول الجنة.

والله عليم خبير بما يقع في الدنيا ومن فيها، وكذلك السموات وما فيها، وكل عمل يعمله العبد، يراه الربّ تعالى كل وقت، إنه يعلم هل يعمل الإنسان ابتغاء مرضاة ربه أو لغرض آخر، وهل عمل مدى قدرته أم لم يعمل؟، أغرق في ملذات الدنيا أو ذكر اسم ربه وتزكى وجعل نفسه جديرة مستحقة للزلفى والقبول عند الله عزّ وجلّ؟ ومن أهم وسائل نيل هذه القربة والزلفى، ومثل أعلى لذلك، هي عبادة الصلاة التي يقوم العبد فيها أمام ربه بغاية من الإخلاص والخشوع والخضوع متزكيًا من كل ما يلوث الصلة بين العبد والرب في الحياة الدنيا.

طرق عبادة المخلوقات الأخرى:

جعل الله تعالى الإنسان أشرف المخلوقات، وأعطاه نعمة الصلاة لعبادته، وإن الصلاة تختلف اختلافًا تامًا عن سائر الطرق التي أعطاها المخلوقات الأخرى للعبادة، مع أن سائر المخلوقات خاضعة لأمر ربّها وتسبح له، وإن كانت طرقها وهيئاتها مختلفة، يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله في كتابه "الأركان الأربعة":

" لقد ظلت الشمس مشرقة وهاجة منذ كان هذا الكون، تنشر النور، وتمنح الحياة والحرارة، وظل القمر سراجًا منيرًا ينير السبيل، ويحدد الشهور والسنين، وقد انتصبت الجبال قائمة من آلاف السنين تبلغ رسالتها، ووقفت الأشجار على قدم وساق، وافرة الثمار وارفة الظلال، تعبد الربّ وتخدم الإنسان - سيد هذا الكون وخليفة الله في أرضه - وانطلق الهواء يحمل رسالة الحياة لهذا الإنسان، وهبّت الرياح لواقح تحمل أمانة الماء من جهة إلى جهة، وسارت السحب تحمل الأمطار وتحيي الأرض بعد موتها، وجرت الأنهار تروي ظمأ الإنسان، وتسقي الزروع، وتثير دفائن الأرض، ومشت الحيوانات والدّواب على أربع، كأنها في ركوع دائم، تنقل الإنسان من مكان إلى مكان، وتحمل الأثقال، وله فيها دفء ومنافع، ومطاعم ومشارب، وزحفت كثير من الحيوانات على صدرها وبطنها، فيها مآرب للإنسان.

فهذه المخلوقات التي لا عقل لها ولا قلب، في عبادة دائمة، في طاعة وخضوع لأمر الله تعالى، فلا عصيان ولا ثورة،

ولا تمرّد ولا جموح، ولا ملل ولا سآمة، ولا إضراب ولا انقطاع عن العمل، ولا راحة ولا عطلة، فكأنها دائمًا في السجود: "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ و- كَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ" [الحج: ١٨]، "وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" [النحل: ٤٩- ٥٠]، "وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ" [الرعد: ١٥]، "الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ" [الرحمن: ٥- ٦]، "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ" [إبراهيم: ٣٢- ٣٤].

فهذه المخلوقات على اختلاف أنواعها، وعلى تنوُّع عباداتها في صلاة، تتفق مع طبيعتها ووظيفتها، وفي حمد وتسبيح لا يفقههما إلا من فتح الله بصيرته ورفع عنه الحجاب: "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" [الإسراء: ٤٤] "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" [النور: ٤١][1].

أليق طريقة بالإنسان في العبادة:

لقد ميز الله تعالى الإنسان عن المخلوقات الأخرى، وجعله خليفة له في الأرض، فلم يكن من الجدير أن تكون طريقة عبادته مشابهة لطرق المخلوفات الأخرى للعبادة، بل كان من اللازم أن تكون طريقة عبادته أليق بما يقتضيه تميُّزه عن سائر المخلوقات، ولذلك أعطاه الله تعالى أغلى تحفة وهي صلاة تطابق كل المطابقة لوضعه الخاص ومركزه الدقيق، يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى:

"لقد كان الإنسان بشرفه واختصاصه، وعقله وقلبه، أحق من جميع هذه المخلوقات التي سبق ذكرها، بأن يكون في عبادة دائمة، لا انقطاع لها، من قيام وركوع وسجود، ومن حمد وتسبيح وذكر، لا يفتر عنه لسانه، وقد كانت الهبات التي اختص بها، والعناية الإلهية التي كان موضعها، والنعم التي تدفقت عليه ونزلت كالمطر الغزير، تقتضي أن لا ينقطع عن هذه العبادة، ولا ينصرف عن هذه (الصلاة) طرفة عين، وأن يكون كالملائكة الذين وصفهم الله بقوله: "وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ" [الأنبياء: ١٩- ٢٠].

---

(1) الأركان الأربعة للشيخ الندوي، ص: ٢٠- ٢١.

ولكنه اختير ليكون خليفة الله في أرضه، وهيئ لهذا المنصب، فخلقت فيه الشهوات، ووضعت فيه الحاجات، وأودعت فيه المشاعر والأحاسيس، والعواطف والرغبات، وأودع فيه الحب والحنان والرقة، والتألم والالتذاذ، ووضع فيه الاستعداد للمعرفة، واستخدام ما خلقه الله في هذه الأرض، وبثه من دفائن وخزائن، ونعم وخيرات، وقوى وطاقات، وكان تعليم الأسماء الذي خُصّ به من دون الملائكة رمزًا لهذا الاستعداد الفطري، ومظهرًا من مظاهر الخلافة الأرضية، ومفتاحًا من مفاتيح الاتصال بهذا الكوكب الذي مُنح إمارته والتصرف فيه، فقال تعالى: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ" [البقرة: ٣٠-٣٣]، وقال: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا" [البقرة: ٢٩]، وقال: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" [الأعراف: ٣٢].

فكان اختياره لهذا المنصب الخطير، وكانت خلقته التي

طابقت هذه الغاية وخضعت لها، وكان قيامه بواجبه كخليفة في الأرض، كُتبت له الوصاية على خيراتها وطاقاتها، تأبى وتنافي أن يكون في قيام دائم، أو في ركوع دائم، أو في سجود دائم، أو في تسبيح لا ينقطع، وفي ذكر لا يفتر، شأن الأجرام الفلكية، أو الجبال الجامدة، أو النباتات الساكنة، أو الحيوانات العجماء، فإذا حاول ذلك أو التزمه، أقام الدليل على إخفاقه وخيبته، كخليفة الله في الأرض، وصدّق ما قالته الملائكة وبرّر ترشيحهم أنفسهم لهذا المنصب الجليل، على أساس التسبيح والتحميد والعبادة الدائمة.

إذًا كان لابد من عبادة تليق بفطرته وبمنصبه، ومركزه في هذا الوجود، والمهمة التي ألقيت على عاتقه، والواجبات التي يجب أن ينوء بها، فكان لابد من عبادة لأنها مقتضى الفطرة، ونتيجة الغريزة، ونداء الضمير، وواجب الشرف، وحاجة الإنسانية، وغذاء القلب، وكان لابد أن تكون هذه العبادة مطابقة كل المطابقة لوضعه الخاص، ومركزه الدقيق، وموقفه الفريد، وأن يكون لباسًا قد فُصّل على قامته، وعلى قدر حاجته.

فكانت الصلاة المفروضة هي اللباس المفصّل على قامته من غير طول وفضول، ومن غير قصر وضيق: "أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ" [الملك: ١٤]، "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" [القمر: ٤٩][1].

---

[1] الأركان الأربعة، ص: ٢١- ٢٣.

توجيهات وآداب للصلاة :

كان لا بد لعبادة مهمة كالصلاة، من توجيهات وآداب ليقوم الإنسان في ضوئها بأداء هذه العبادة على أحسن طريقة وأفضلها، يقول الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي :

"وشرع في الآداب والتوجيهات النبوية الحكيمة ما كان كفيلاً بالخشوع والسكينة، والإقبال على الله تعالى، فقد روى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إذا كان أحدكم في الصلاة، فإنه يناجي ربّه، فلا يبزقنّ بين يديه، ولا عن يمينه، ولكن عن شماله وتحت قدميه" [رواه عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم، أخرجه البخاري ومسلم]، وأمر المصلي بطاعة الإمام وتقليده، واتّباعه، وكان في ذلك تجريد عن الفوضى والافتئات، وعن اتباع الهوى، والانسياق مع الرّغبات، فلا تقدّم عن الإمام ولا تخلّف عنه، ولا يسمح له بالبقاء في هيئة واحدة، مهما وجد فيها لذة، ومهما حدّثته نفسه بالبقاء فيها، والزيادة منها، فروح الصلاة إنما هو طاعة الله وامتثال ما أمر به ومحاكاة الرسول وتقليده في عبادته : "صلّوا كما رأيتموني أصلي"[1] واتباع الإمام في حركاته وسكناته، وفي انتقالاته وتقلباته : "إنما جعل الإمام ليؤتم به"[2].

والمساجد تتجلى فيها عظمة الله، فلا عظمة لمخلوق، ولا

---

[1] رواه البخاري، في باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة.

[2] رواه مسلم عن أنس بن مالك، باب ائتمام المأموم بالإمام.

اختصاص لعظيم أو كبير، وهو مكان مُشاع يتساوى فيه الحرّ والعبد، والحاكم والمحكوم، والغني والفقير، فهو كـ"منى مناخ من سبق" [أخرجه الترمذي عن عائشة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها مرفوعاً] والإسلام لا يعرف تلك الامتيازات التي لم تكن إلاّ من بدع الملوك والأمراء بعد عصر الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولا تقدّم ولا امتياز في المساجد إلا على أساس العلم، والحظ من القرآن الكريم والفقه والتقوى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليلني منكم أولو الأحلام والنهى، ثم الذين يلونهم" ثلاثاً"[١-٢].

---

(١) رواه مسلم، في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف؛ ورواه أبو داؤد والنسائي.

(٢) الأركان الأربعة، ص: ٥١- ٥٢.

فهرس المحتويات

كلمة المؤلف ٣
شعائر الله تعالى وتعظيمها ٥
الشعيرة الأولى ٦
الشعيرة الثانية ٦
الشعيرة الثالثة ٧
الشعيرة الرابعة ٨

الشعيرة الأولى

القرآن المجيد ١٠
سمو الكلام الإلهي وعظمته ١٠
قوة الكلام الإلهي ١٢
مثل الكلام الإلهي ١٤
الفرق بين السماء والأرض ١٥
غرض نزول القرآن ١٦
حكمة نزول القرآن ١٦
تعظيم القرآن الكريم ١٧
آداب القرآن ١٨
النظام الدنيوي والنظام الأخروي ١٩

جزاء العمل بتعاليم القرآن ٢٠
الصفة المميزة للإنسان ٢٢
الفرق بين الإنسان والحيوانات الأخرى ٢٣
الغرض من تميّز الإنسان وتفوقه ٢٣
الفرق بين النظام المادي والنظام المعنوي ٢٤

الشعيرة الثانية

الكعبة المشرفة وقدسيتها ومكانتها ٢٦
منى والمزدلفة وعرفات ٢٧
مقدم أسرة إبراهيم إلى مكة ٢٨
أساس عمران مكة ٢٩
التكريم الإبراهيمي ٣٠
من فضائل بيت الله العتيق ٣٠
النسبة السماوية ٣١
نعمة عظيمة ٣٢
الكعبة نقطة مركزية للعالم ٣٣
مكان عظيم ٣٣

الشعيرة الثالثة

سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٥
التأثير الطبيعي للإسلام ٣٦
رحمة للعالمين ٣٧
المطالبة بالتعظيم والتقدير ٤٠
محبّة الرسول صلى الله عليه وسلم ٤٠

حبّ الصحابة للرسول صلى الله عليه وسلم ٤١
اقتضاء كمال الإيمان ٤٢
آداب النبي صلى الله عليه وسلم ٤٣
خلق النبي صلى الله عليه وسلم ٤٤
منع رفع الصوت ٤٥
الأمر بالتقوى ٤٦
تورُّع الصحابة الكرام ٤٧
منع رفع الصوت ٤٨
التعاليم الاجتماعية ومقام النبوة ٥٠
رسالة للأمة المسلمة ٥٢

الشعيرة الرابعة

الصلاة وأهميتها ٥٤
العمل المحبوب ٥٤
الفرق بين الصلاة والعبادات الأخرى ٥٥
الصلاة سلاح المؤمن ٥٥
تميُّز الإنسان عن سائر المخلوقات ٥٧
طرق عبادة المخلوقات الأخرى ٥٨
أليق طريقة بالإنسان في العبادة ٦٠
توجيهات وآداب للصلاة ٦٣
فهرس المحتويات ٦٥